



الزمان: ما بين أواخر كانون الثاني و منتصف شباط من عام 1982 م.

المكان: حماة و دمشق - سوريا

أواخر كانون الثاني

دفء البيت في هذا الجو البارد يعطي شعوراً بالأمان...

تستعدّ أم وحيد لاستقبال أهلها، كانت قد غادرت حماة لتنقل مع زوجها إلى دمشق.

لا بدّ أنها تجد صعوبة في تربية أطفالها الثلاثة، وحيد ووليد التوأم (5 سنوات) ووائل (3 سنوات)، فلا أحد يعينها في تربيتهم سوى زوجها، وهو أيضاً لديه أعمال. تركوا حماة باحثين عن حياة أفضل، زوجها عمل في دكان والده ثمّ لما أصبح أباً لأطفال، لم يعد يكفيه ما يجنيه من هذا العمل.

قدوم والديها سيؤنسها ويريحها قليلاً، متى كانت آخر مرّة رأتهما؟

تجلس أم وحيد لتذكّر صديقاتها و قريباتها في حماة، عرس قريبتها الشابة قد اقترب، ولا بدّ أن تعود إلى حماة لحضوره. ها قد وصل أبوها وأمّها، سيلهم الأطفال معهما قليلاً ثمّ يستريحان.

تفرح أم وحيد بتغيير روتين حياتها لعدة أيام، في البيت حركة أكبر ومرح أكثر. تفرح الأم بما يفرح به أطفالها.

مضت بضعة أيام منذ وصل والداها، عليها الآن أن تعد للعودة إلى حماة لحضور العرس - لكن لن تذهب مع أمها وأبيها، بل ستلتحق بهما بعد بضعة أيام، تصطحب الأم حفيدها وليد لكي تخفّف عن ابنته أعباء السفر، أما الطفلان الآخران فيبقيان مع والدتهما.

وصلت الجدة والجد وليد إلى حماة.

#### أوائل شباط:

في الثاني من شباط، تقتتح قوات حافظ الأسد الخاصة مدينة حماة لتطهيرها من "عصابة الإخوان المسلمين"، يستيقظ الناس أطفالاً ورجالاً ونساءً على صوت الرعب. لا أحد خارج حماة يعرف ما يحدث في حماة. أم وحيد ما زالت في دمشق لا تدري أن أبيها وأمها وطفلها ذا السنوات الخمس يذوقون طعم الرعب الحقيقي في مدينة غير بعيدة. الحياة كما عرفناها في المدن مستمرة، وفي حماة أقام الموت شهراً يحصد الأرواح.

البيوت تُفتح، وفي كل بيت يُفتح، يتمنى ساكنوه أن يبقوا أحياء... لا يريدون أكثر من هذا، لقد فقدوا كل رغبة سوى رغبة الحياة.

في الثمانينات لم يكن أفراد العائلة الواحدة يعيشون منفصلين، بل إنك تجد الجد والجدة وأولادهما وأحفادهما في بيت واحد كبير.

بيت أم وحيد في حماة لم يكن استثناءً، 16 فرداً يعيشون في بيتٍ واحد.

وقد حانت لحظة الاقتحام، كم منهم ينتسب للإخوان المسلمين؟ لا أحد! دعك من هذا... فالهمّ عند الجنود إفراغ حقدهم في صدور العزل.

دخل الجنود إلى البيت: جمعوا الأفراد استعداداً لممارسة طقوس المجازرة الجماعية، 16 فرداً، الجد والجدة وأبناءهما (منهم طفلة عمرها 4 شهور) وحفيدهما وليد.

يا الله! ماذا شعرت في تلك اللحظة يا وليد؟ هل كنت من الإخوان المسلمين يا وليد؟ هل تدرك لماذا يحدث كل هذا؟ هل تعلم أن الأطفال بعمرك في مدن أخرى من بلدك يلعبون الآن يا وليد؟

وليد بغرizته ذهب يبحث عن مكان يختبئ فما وجد إلا مساحة صغيرة تحت المغسلة في المطبخ، طوى نفسه، الطفل ذو خمس سنوات، ورعب العالم كله قد تجمع في صدره... فإن لم تمت رصاصته، فقد قضى الرعب على كل حب الحياة في قلبه.

ماذا شعرت يا وليد وأنت تسمع صوت الرصاص على بعد أمتار؟ هل تفهم ماذا يفعل هذا الرصاص؟

بل ماذا شعر جدك وقد أتوا بطفلته ذات الشهور الأربع فقتلوها أمام عينيه قبل أن يطلقوا الرصاص عليه؟ ما نوع هذا الحقد يا وليد؟

وليد... ألا تجيب؟!

لقد وجدوك إذاً وقرروا أن بقاءك حياً قد يضعف هيبة الدولة...

آسف لأن الرصاص وصل إلى صدرك قبل أن تصل كلماتي...

لكن أتعلم يا وليد؛ جدك نجا من الموت... لأنهم ظنوا قد فارق الحياة وهو تحت جثث بقية عائلته، كم جثة؟ 14 جثة!

غادر القتلة فنهض الجد المصاب من تحت الجثث ليختبئ في علية البيت إلى أن يقرر حافظ الأسد الاكتفاء من أرواح ساكني حماة.

الأب يتغافى ما استطاع، بطريقة غير قانونية يستطيع السفر إلى دمشق ليقابل ابنته.

يدخل الأب بيته فتنظر له في ذهول: ما الذي أتي بك يا أبي؟ ولم أتبيت وحيداً؟ أين أمي وأين وليد؟

الأب لا يجيب... ترى هل استطاع أن ينقل شيئاً من الرّعب الذي شاهده على وجهه ليراه الدّمشقيون؟

تتابع الابنة: كنت أنوي العودة إلى حماة فلماذا أتيت أنت؟

الأب لا يجيب، يطلب منها ماءً ساخناً ليغسل...

يغسل الأب ثم يخرج لتعيد الابنة سؤالها: لماذا أتيت يا أبي؟ أين ولد؟ أين أمي؟

الأب يصرخ بجنون: لك ماتوووووووووووووووووووا! كلّ ماتوا!

ثم يغرق في البكاء...

ثم يحكى لها ما يحدث في حماة...

لكن يبقى من رأى، ليس كمن سمع!

لحظة! إن حسبت أن الرّعب انتهى، فأنت مخطئ...

ها قد دخل الطّفل وحيداً إلى الغرفة، وأدرك أنّ أخيه قد مات...

الطّفل يريد أن يسأل عن أخيه: و... و... و... يعجز عن نطق اسمه "وليد"!

يبقى وحيداً عاجزاً عن الكلام...

بعد فترة يشفى جزئياً لكن نطقه يبقى ثقيلاً.

منذ أقلّ من سنة مات وحيد مريضاً في حالة يُرثى لها.

أمّ وحيد وابنها وأئل ما يزالان على قيد الحياة...

لكن هل بقيت فيهما حياة؟

على الامان...

من قتل الآلاف بحماة؟ عائلة الأسد.

ما قتل الآلاف بحماة؟ الفساد!

السمّاح لمستبدّ أن يصل إلى السلطة يعني أن ما حدث في عام 1982 م قابل للحدوث مرات أخرى.

الفساد ليس شيئاً ساكناً، بل هو يصرّ على النّمو والتّغلّب، وينجب القتل وشتّى أنواع الجرائم...

هذا ما علمته أحاديث 1982 م؛ ولهذا أثور اليوم.

تدكّر دوماً: لا ترضى بالفساد، لا تكن كأجدادك الذي سكتوا!

المصادر: